Al-Jāmi'ah: Journal of Islamic Studies
Vol. 61, no. 2 (2023), pp. 455-475, doi: 10.14421/ajis.2023.612.455-475

THE APPROACH OF IMĀM AL-BIQĀʿĪ IN DETERMINING THE OBJECTIVES OF THE QURANIC CHAPTERS

Misnawati[*] **and Radwan Jamal Elatrash**[**]
[*]Ar-Raniry State Islamic University, Banda Aceh, Indonesia
[**]International Islamic University Malaysia, Malaysia
email: misnawati@ar-raniry.ac.id

Abstract

Imam al-Biqāʿī is one of the most prominent Quranic commentators who took care of the objectives of Quranic chapters and became the first scholar to draw attention to this science. Benefited from the science of the Quranic munāsabah, al-Biqāʿī analysed the objectives of the Quranic chapters in his books Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar and Masāʿid al-Naẓr li al-Ishrāf ʿalā Maqāsīd al-Suwar. Therefore, the nature of this paper requires that the researchers rely on the inductive method to reach the views of scholars and Quranic commentators, especially that of al-Biqāʿī on the topic, to prove the approach of al-Biqāʿī in the purposes of the sūrah. The authors argue that relying on the sciences of the Quranic tanāsub and siyāq, al-Biqāʿī concluded that revealing monotheism is the ultimate goal of most of the Quranic chapters.

[Imam al-Biqāʿī salah satu tokoh tafsir terpenting yang berkontribusi dalam Ilmu Maqāṣid ṣ al-Suwar al-Qur'āniyyah, bahkan beliau di garda terdepan dalam ilmu ini sebagai perintisnya. Dengan mendalami ilmu Munāsabah al-Quran, beliau menganalisis dan menentukan tujuan surat-surat al-Quran sebagaimana tergambar dalam kitabnya yang berjudul Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar dan Maṣāʿid al-Naẓr li al-Ishrāf ʿalā Maqāṣid al-Suwar. Artikel ini menggunakan pendekatan induktif untuk mengumpulkan pendapat para ulama dan para ahli tafsir, khususnya pendapat al-Biqāʿī, terkait disiplin ilmu tersebut untuk menelisik karakteristik pendekatan al-Biqāʿī dalam menentukan tujuan dari surat al-Quran.

Kesimpulan dalam penelitian ini adalah bahwa menurut al-Biqā'ī, tauhid adalah tujuan tertinggi di sebagian besar surat al-Quran. Pandangan al-Biqā'ī ini dia dapatkan melalui dua ilmu yang menjadi referensinya, yaitu ilmu al-Tanāsub dan al-Siyāq].

Keywords: 'Ulūm al-Qur'ān, al-Biqā'ī, objectives of Quranic Chapters.

منهج الإمام البقاعي في تحديد مقاصد السور القرآنية

مسناواتي،[*] رضوان جمال يوسف الأطرش[**]
*الجامعة الرانيري الإسلامية الحكومية، بندا أتشيه، إندونيسيا
** الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

ملخص

يُعَدُّ الإمام البقاعي من أهم المفسرين الذين اعتنوا بعلم مقاصد السور القرآنية، بل إنه فارسُ هذا العلم بلا منازع. وهو أول من وجه الاهتمام إلى هذا العلم، ولم يجد أحدًا سبقه في هذا المضمار. وقد استفاد الإمام من علم المناسبة القرآنية في تحديد مقاصد سور القرآن، وألف كتابيه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» و«مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور». ومهما يكن من أمر، فإن طبيعة هذا المقالة تقتضي أن يعتمد الباحثان على المنهج الاستقرائي للوصول إلى آراء العلماء والمفسرين وخاصة آراء الإمام البقاعي في الموضوع، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لإثبات معالم منهج الإمام البقاعي في تحديد مقاصد السور. ومن النتائج المهمة التي أثبتها البحث أن الإمام البقاعي جعل أهم المقاصد العظمى في أغلب سور القرآن مقصد التوحيد، وقد استنبط هذا من خلال اعتماده على علمي التناسب والسياق.

الكلمات المفتاحية: منهج، الإمام البقاعي، مقاصد السور القرآنية.

أ. مقدمة

إن علم مقاصد السور من أهم العلوم التي تساعد المسلم في فهم معاني آيات القرآن العظيم. لذلك، يجب كان لزاماً على من كان هدفه الوعي السديد والفهم الدقيق لآيات القرآن أن يتخصص في هذا العلم الرصين. ولقد كان الإمام البقاعي من أوائل من برزوا

في هذا العلم قديمًا.[1] وعند التحدث عن أفكار الإمام البقاعي المقاصدية ككل لا بد لنا من استعراض تعريف عام به، ثم تعريف بما يتعلق بمنهجه في التعامل المنهجي في تحديد مقاصد السور. هذا وقد كانت أهم أدوات الإمام البقاعي في تحديد وتحقيق مقاصد السور المناسبة القرآنية والسياق والوحدة الموضوعية. ومن الأساليب التي تعين على إيصال هذا المنهج إلى مقاصده التدبر، من خلال النظر إلى مضامين الآيات التي يسهل فهمها والتعامل معها وتطبيقها على جميع المستويات وفي جميع الأزمان والأمكنة.

ب. التعريف بالإمام البقاعي

إن البقاعي هو الإمام العلامة الحافظ، المتقن المفسر الناقد الحجة المحدث الفقيه كاتب السيَر والتراجم والمؤرخ.[2] اسمه إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط بن علي بن أبي بكر، أبو الحسن برهان الدين البقاعي الخرباوي الشافعي.[3] أما الرُباط فهو لقب جده حسن. أبو الحسن كنيته، وبرهان الدين لقبه، والبقاعي نسبة إلى وادي البقاع والخرباوي نسبته لقرية خربة روحا.[4]

---

١ يونس عمر ملال، «أثر العلم بمقاصد السور في فهم القرآن الكريم في ضوء سر تكرار القصص: قصة آدم عليه السلام أنموذجـــًا»، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق جامعة الأزهر، المجلد٣٢، العدد ١، ٢٠٢٠م، ص١٢٠.

٢ برهان الدين إبراهيم البقاعي، الإعلام بسن الهجرة إلى الشام، تقديم: محمد مجير الخطيب الحسني، (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨ه/١٩٩٧م)، ص٥٥. وإبراهيم بن حسن البقاعي، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، تحقيق: حسن حبشي، (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ط١، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م)، ج١، ص١٣.

٣ انظر: الإمام البقاعي، الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح، (القاهرة: مكتبة جزيرة الورد، د. ط، د. ت)، ص٩. والبقاعي، القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربّنا المجيد، تحقيق: خير الله الشريف، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٤١٦ه/١٩٩٥م)، ص٣. والبقاعي، النكت الوفية بما في شرح الألفية، تحقيق: ماهر ياسين الفحل، (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٨ه/٢٠٠٧م)، ص٩. والبقاعي، الإعلام بسن الهجرة إلى الشام، ص٥٥-٥٦. وانظر: البقاعي، بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة السيد ورقة، تحقيق: محمد نبيل طريفي، (بيروت: دار الفكر العربي، ط١، ٢٠٠٣م)، ص٢١.

٤ «إن وادي البقاع جمع بقعة موضع يقال له: بقاع كلب قريب من دمشق وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة وأكثر شرب هذه الضياع من عين تخرج من جبل، يقال له العين عين الجر وبالبقاع هذه قبر الياس النبي وفي ديوان الأدب للغوري بقاع أرض بوزن قنطام». ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار الفكر، د. ط، د. ت)، ج١، ص٤٧٠. و»يجوز في «خربة» فتح الخاء مع فتح الراء وتسكينها، كما يجوز ضم الخاء مع تسكين الراء. أما «روحا» فبفتح الراء وتسكين الواو، وحاء مهملة ممدودة في آخرها همز». البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسين، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١،

إن البقاعي من قبيلة اسمها بنو حسن. اسم أمّه فاطمة بنت علي بن محمد السليمي وكانت امرأة صالحة.[٥] ولد البقاعي سنة ٨٠٩هـ الموافق سنة ١٤٠٦م في قرية «خربة روحا». وهذه القرية إحدى قرى سهل البقاع على مسافة مرحلة غربي دمشق من أرض لبنان حاليًا ومن الأراضي السورية قديمًا قبل قيام الاستعمار بتقسيم بلاد الشام إلى دويلات.[٦]

نشأ البقاعي رحمه الله وعاش في العصر المملوكي الذي يبدأ منذ انتهاء دولة الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ وينتهي بقدوم الأتراك العثمانيين لمصر وما جاورها سنة ٩٢٣هـ. وترعرع بقرية خربة روحا، واشتغل بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم على عمه أحمد بن حسن الرباط، وأبي الجود محمد بن عثمان الخرباتي الشافعي (ت٨٥٠هـ)، فأتم حفظه، وصلّى به التراويح قبل أن يبلغ عمره اثنتا عشر سنة.

ومن الرحلات الطويلة بين البلاد والأقطار التي قضاها البقاعي في سبيل العلم من التلقي والسماع، أثرى نفسه والأمة من غزيرة المعلومات والتجارب وتنوع المعارف وكثرة المؤلفات. لم يكن له مبلغ كثير ولا يملك شيئًا من المال ولم يكن له أحد يتولى الإنفاق عليه، وإنما كان هو ينفق على نفسه من عمل يده، بأن يكتب لغيره من العلماء لحسن خطه وجودة كتابته نظير أجر معلوم ويعيش بهذا الأجر كما كان يعلّم الصبيان مبادئ العلوم بجانب القرآن الكريم، وكان يمكث في المساجد. وتكون قلوب العلماء مملوءةً بالحسد حين يرون غيرهم تفوّقًا عليهم سواء كان في الهمة أو العلم أو العمل ولكنه ما كان يبالي بهم ولم يهتم بكيدهم وإيذائهم لأنه خشي الله وحده أشد خشية.[٧]

يظهر لنا أن البقاعي لم يكن معلّمًا يذهب إليه الطلبة من كل المناطق ليتعلّموا التفسير فحسب بل هو جنديٌّ شجاعٌ، شارك في المعارك التي وقعت في عصره، على سبيل المثال غزوة رودس وقبرص.

يعد الإمام البقاعي بلا شكّ علامة بل إمامًا من الأئمة المتقنين المتبحرين، فقد أحاط بجميع نواحي العلم في عصره. وهذا يظهر لنا من خلال ترحاله إلى مناطق وبلدان كثيرة من أجل طلب العلم ومن خلال مصنفاته المتنوعة. وقد جاء كتاب مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور يقال: «والناظر في تراثه بإمعان يدرك لأول وهلة أنه أمام شخصية علمية متعددة المواهب، مختلفة الجوانب، فهو مفسر، ومحدث، ومؤرخ، وأديب،

١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، ج١، ص٣١-٣٣.

٥ انظر: البقاعي، إظهار العصر لأسرار أهل العصر تاريخ البقاعي، تحقيق: محمد سالم بن شديد العوفي، (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٢، ص٨.

٦ انظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ص٣١.

٧ انظر: البقاعي، إظهار العصر لأسرار أهل العصر تاريخ البقاعي، ج١، ص٣٨..

وشاعر».[٨]

هذا وقد برع البقاعي في مجال التفسير حتى صار علاّمة فيه. وكتابه» نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» من أشهر الكتب الذي يعتمد عليها طلبة العلم في عصره، أو فيما تلاه من عصور ويعدّ هذ التفسير من أهم مصادر التفسير اليوم خاصة فيما يتعلق بعلم المناسبات. وكذلك كتابه» مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» المتعلق بعلوم القرآن حيث يُعدّ من الكتب يعتمد عليها في هذا المجال.

ترك الإمام البقاعي ثروة علمية عظيمة للأجيال من بعده. وقد أحصيت له المؤلفات الكثيرة حولي ٥٧ كتباً. ومن أشهر المؤلفات ألا وهي مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور.

ومن يترجم للبقاعي يذكره أنه محدث، بل إنه مهر في هذا الحقل، بل وصفوه بأنه من الحفّاظ. ويقول السيوطي: إن «برهان الدين أبو الحسن، العلاّمة المحدث الحافظ».[٩] وطبّق هذا المجال لاسيما في كتابيه: مصاعد النظر ونظم الدرر، وفيهما يوجد تخريج الأحاديث وما يتعلق بها من علوم تحتاج لتخريجها. وكذلك فإن البقاعي مهتمٌّ بتحصيل القراءات التي قرأها على كبار المقرئين في زمانه وألّف أول كتاب في القراءات وأسمّاه « كفاية القارئ وغنية المقرئ» في قراءة أبي عمرو. وهناك كتب أخرى ألفها في هذا الحقل، على سبيل المثال: ضوابط الإشارات إلى أجزاء علم القراءات والقول المفيد في أصول التجويد.

من جهة أخرى، فإن للإمام البقاعي رحمه الله كتب عديدة في مجال التاريخ حتى عرف بين الناس أيضًا بأنه مؤرخٌ وترجم لشيوخه وأقرانه وتلاميذه في مختلفة الكتب المتعلقة به، وهذا يدل على أنه متفوقٌ وعبقريٌّ في هذا الميدان. كما أنه يعرف أيضًا بالشعر. وله ديوان تحت عنوان: «إشعار الواعي بأشعار البقاعي». ومن يطّلع على هذا الديوان يرى فيه عجبًا. وقد تناول شعره الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء قديمًا. ويظهر هذا الفن في كثير من كتبه المؤلفات.[١٠] وخلاصة القول، يُعدّ الإمام البقاعي أحد العلماء الأثبات المفكرين الذين أنتجوا تراثًا علميًّا ضخمًا مما جعله علاّمة في كل المجالات.

ونهاية القول فقد كانت للبقاعي حياة جذّابة كمفكّر وعلاّمة ومحدث ومؤرخ وحافظ وشاعر وغير ذلك من قدراته العلمية. فقد ترعرع رحمه الله في حياة الترحال طالبًا للعلم مما جعله مشهورًا بين العلماء فضلاً عن الباحثين.

---

٨ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ص٦٢.

٩ جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، (بيروت: المكتبة العلمية، د. ط، د. ت)، ص٢٤.

١٠ انظر: البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ص٦٢-٦٢.

ج. مفهوم مقاصد السور

المقاصد مفردة مقصد، وهو يرجع إلى قصد يقصد قصدًا وهو استقامة الطريق. والقصد أيضًا الاعتماد والأم، إتيان الشيء. والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة أنْ لا يسرف ولا يقتر. المعروف مقصد ليس بالجسيم ولا الضئيل. يرى ابن شميل الْمُقَصَّدُ مِن الرِّجَالِ الَّذِي لَيْسَ بِجَسِيمٍ وَلَا قَصِيرٍ ورواه بعضهم مُقْصَدًا ساكنة القاف مخففة الصاد مفتوحتها قَالَ: وهو الرَّبْعَةُ من الرِّجَالِ.[١١] وقد يستعمل هذا النعت في غير الرجال أيضًا. ويرى ابن الأثير أن المقصد في الحديث هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كأن خلقه يجيء به القصد من الأمور والمعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط. يرى ابن جني أن أصل مقصد من قصد ومواقعه في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أو جوار هذا أصله في الحقيقة وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل.[١٢]

وقد جاء لفظ المقصد في تاج العروس بمعنى المهمات المقصودة.[١٣] وفي المحيط، القصد في المعيشة بمعنى ترك الإسراف من غير تقتير.[١٤] وخلاصة القول أنّ المقصد في اللغة يرشد إلى معاني استقامة الطريق وإتيان الشيء وأمّه والاعتزام والتوجه والنهوض.

المقاصد اصطلاحًا، ظهرت للباحثين عدة معانٍ لهذه الكلمة، نختار منها الآتي:

- المقصد هو «العمدة الذي يتجه إليه الكلام ويرجع إليه».[١٥]
- المقاصد هي «الغايات التي تهدف إليها السورة وترجع إليها جميع موضوعاتها ومعانيها».[١٦]

ويمكن تعريف مصطلح المقاصد بما يضاف إلى الشريعة وهو المشهور كما يضاف إلى القرآن الكريم. وهنا يقتصر على ذكر مفهوم المقاصد يضاف إلى السور.

١١ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨ هـ)، غريب الحديث، (تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، (دمشق: دار الفكر، د.ط، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ج١، ص٢١٧.

١٢ انظر: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط١، د. ت)، ج٣، ص٣٥٣.

١٣ انظر: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية، د. ط، ٢٠١٠م)، ج١، ص٦٦.

١٤ انظر: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج١، ص٤٤١.

١٥ محمد بن عبد الله الربيعة، علم مقاصد السور، (الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠١١م)، ص٧.

١٦ الربيعة، علم مقاصد السور، ص٨.

ولفظ السور مفرده سورة من سور يسور سورًا وسؤورًا وسؤرًا بمعنى دار وارتفع والسور حائط المدينة. والجمع أسوار. ويجمع سورًا ويجوز أن يجمع على سورات وهي كل منزلة من البناء. وسورة القرآن هي منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى. أو درجة إلى غيرها ومن همزها جعلها بمعنى بقية من القرآن، أو يقال: كل شيء حده أو الرفعة.[١٧] أو السورة بمعنى «المرتبة والمنزلة الرفيعة، على حد قول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

أي أعطاك منزلة عالية على غيرك من الملوك.[١٨]

من جهة أخرى، سميت السورة لأنها يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة كسورة البناء، وشرفها وارتفاعها. كما يقال: لما ارتفع من الأرض سور. يقال: لأنها قطعة من القرآن على حدة. يقال: بقية السؤر. ويقال: سميت بذلك لتمامها وكمالها.[١٩] لذلك، معنى السورة هي حائط المدينة وأعراق الحائط ومنزلة من البناء والمرتبة المنزلة الرفيعة ومنزلة إلى منزلة وكل شيء حده أو الرفعة.

عرّف ابن عاشور السورة بأنها: «قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران، مسماة باسم مخصوص، تشتمل على ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة، ناشئ عن أسباب النزول أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة».[٢٠]

كما عرّف أبو شهبة السورة بأنها: «طائفة من آيات القرآن جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول والمقدار الذي أراده الله سبحانه وتعالى لها، وكل سور القرآن بدئت بالبسملة إلا براءة».[٢١]

الخلاصة مما سبق، أن معنى السورة اصطلاحًا يدل على طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومنتهى، مسماة باسم مخصوص، وأقلّها ثلاث آيات. وقد بدئت كل سورة بالبسملة

---

١٧ انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٣٨٤.

١٨ نور الدين محمد عتر الحلبي، علوم القرآن الكريم، (دمشق: مطبعة الصباح، ط١، ١٤١٤ه/١٩٩٣م)، ص٣٩.

١٩ انظر: الداني، البيان في عد آي القرآن، ص١٢٤-١٢٥.

٢٠ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٨٤. وانظر: عادل بن محمد أبو العلاء، مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ط١٢٩، ١٤٢٥ه)، ص٩٣. وانظر: مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، (دمشق: دار القلم، ط٣، ١٤٢٦ه/٢٠٠٥م)، ص٤١

٢١ محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة: مكتبة السنة، ط٢، ١٤٢٣ه/٢٠٠٣م)، ص٣١٧.

إلا براءة.

أما المراد من مقاصد السور القرآنية فإنها «علم يعرف به مغزى السورة الجامع معانيها ومضمونها».[٢٢] وعرف الإمام البقاعي هذا العلم بأنه «علم يعرف منه مقاصد السور وموضوعه: آيات السور، كل سورة على حيالها، وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، ومنفعته التبحر في علم التفسير فإنه يثمر التسهيل له والتيسير، ونوعه التفسير، ورتبته أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه فإنه كالمقدمة له من حيث إنه كالتعريف، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً. أقسامه: السور، وطريقة السلوك في تحصيله جمع جميع فنون العلوم، وأقل ما يكفي من عمله مقدمة تعرف باصطلاح أهله وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة».[٢٣]

السور القرآنية كلها لها مقصد أساس بنيت عليه كل موضوعاتها، بل إن هذا المقصد يعد قطب معانيها الذي تدور عليه كل المعاني، وهو المقصد الهدائي، وقد يكون ذلك المقصد ظاهراً جليًّا إذا لم تتعدد الموضوعات كمقصد سورة الناس الذي هو الاعتصام بالله من شر شياطين الإنس والجن، فدلالة السورة على هذا المقصد جلية إذ لم يخرج مضمون آياتها عن الدلالة الصريحة على هذا المقصد، وقد يكون المقصد خفيًّا لتعدد موضوعات السورة.[٢٤] لذلك، يرى البقاعي أنه بهذا العلم يمكن معرفة مقاصد السور القرآنية وخاصة آيات السور حتى يعرف تفسير كل الآيات من تلك السورة حقيقة واتساعاً وأكثر دقةً.

إن استعمال مقاصد السور أعم وأشمل من مقاصد الشريعة، فهي الأصل، ومقاصد الشريعة فرع، أما مقاصد الشريعة فهو الأشهر والأكثر في الدراسة والبحث والتصنيف عند العلماء منذ القديم وإلى اليوم. إن مصطلح مقاصد السور له مرادفات سواء كان في كلام المفسرين أم غيرهم، منها: سياق السورة، وغرض السورة، والوحدة الموضوعية، والوحدة السياقية للسورة، وموضوع السورة العام، ومدة السورة، وهدف السورة، ومحور السورة، ومضمون السورة، ومدار السورة، وفلك السورة، وجو السورة، وشخصية السورة، وروح السورة.[٢٥]

---

٢٢ عبد الله الربيعة، علم مقاصد السور، ص٧.

٢٣ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج١، ص١٥٥.

٢٤ محمد ولد سيدي عبد القادر، «منهجية البحث في مقاصد السور القرآنية (سورة فصلت نموذجًا)»، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، المجلد الثاني، العدد الثالث لعام ٢٠١٨، ص٨٦- ٨٧.

٢٥ انظر: الربيعة، علم مقاصد السور، ص٩.

د. مقاصد السور عند الإمام البقاعي

إن الإمام البقاعي رحمه الله يُعَدُّ من أهم المفسرين الذين اعتنوا بعلم مقاصد السور القرآنية، وهو فارس هذا العلم بلا نزاع. بل يرى محقق كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور» أن الإمام البقاعي أول من وجّه الاهتمام إلى هذا العلم ولم يجد أحدًا من القدماء سبقه في هذا المجال. وقد استفاد من تجربته العظيمة في مجال علم المناسبة القرآنية، حيث أنه استطاع أن يُقَعِّدَ للمسلمين قواعد خاصة تتعلق بعلم مقاصد السور انطلاقًا من فن التناسب وترك مصادر مهمة في هذا الحقل أهمها كتاب «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور».

وعليه، فإن أهمية علم مقاصد السور تظهر من خلال أنها تقود القارئ إلى تحقيق مقصد إنزال القرآن الكريم عبر أداة التدبر. ولا يتحقق التدبر إلا إذا كان النظر إلى مقاصد الآيات وما تحمله من مضامين نافعة. لأن لكل سورة مقصد تنزّلت آياتها داعية الناس للاعتناء بها وتطبيقها، وعند معرفة المقصود من الآيات فإنه يتحقق الفهم الصحيح لها وبالتالي يحسن التطبيق فيتحقق الفهم والعمل معًا.

وتظهر فضيلة هذا العلم لأنه يعين على إبراز مظاهر الإعجاز القرآني المتمثلة في بلاغته وعلم مناسباته وتحديه للفصحاء والبلغاء من العرب أن يأتوا بمثله ولو بسورة واحدة.

ه. منهج الإمام البقاعي في تحديد مقاصد السور

سلك البقاعي مسالك عديدة للوصول إلى تحديد مقصود السورة القرآنية.[٢٦]

١. اعتماده على اسم السورة لتحديد مقصدها

يرى الإمام البقاعي أن من أهم الوسائل في تحديد مقاصد السورة النظر إلى اسمها الذي سميت به، يقول رحمه: «من عرف المراد من اسم السور عرف مقصدها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها. وكل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أوّلها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه، على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه. فإذا وصل الأمر

٢٦ انظر: مسناوتي، الوحدة الموضوعية في قصص سورة البقرة عند الإمام البقاعي السمع والطاعة أنموذجًا، (بحث غير منشورة متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠١٩)، ١٧٤-١٨١. وانظر: سعيد إبراهيم سعيد دويكات، مقاصد القرآن الكريم بين الإمامين البقاعي وابن عاشور، (بحث متطلب مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠١٣م)، ص١٠٣-١٠٥.

إلى غايته، ختم بما منه كان ابتداء، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيفة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أوّلها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها. وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها».[٢٧] لذلك يرى البقاعي أنّ الإنسان كلما نقص في هذا العلم، نقص من هذا العلم، وكلّما توغّل عظم حظه.[٢٨]

كما يرى «أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تلحظ المناسبة بينه وبين مسماه، عنوانه الدال بالإجمال على تفصيل ما فيه، وذلك هو الذي أنبأ به آدم u عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها، فأذكر المقصود من كل سورة، وأطبق بينه وبين اسمها، وأفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، ولا أخرج عن معاني كلماتها».[٢٩] إن الإمام البقاعي يفضّل إحراز قصب السبق في كشف العلاقة بين تسمية السورة ومقصودها. وقد ظهر له باستعمال هذه القاعدة في السنة العاشرة من بدء تفسيره (نظم الدرر) عند وصوله إلى سورة سبأ.[٣٠] لذا طبّق البقاعي هذه القاعدة في تفسيره بعد رحلة طويلة في انتهاء تفسيره.

فسورة الفاتحة مثلاً، «اسمها أم الكتاب والأساس والمثاني والكنز والشافية والكافية والوافية والواقية والرقية والحمد والشكر والدعاء والصلاة. فمدار هذه الأسماء كما ترى على أمر خفي كاف لكل مراد وهو المراقبة التي سأقول إنها مقصودها فكل شيء لا يفتتح بها لا اعتداد به، وهي كنز لكل شيء شافية لكل داء، كافية لكل هم، وافية بكل مرام، واقية من كل سوء رقية لكل ملم، وهي إثبات للحمد الذي هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر الذي هو تعظيم المنعم، وهي عين الدعاء فإنه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة. إذا تقررت ذلك فالغرض الذي سبقت له الفاتحة وهو إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال، واختصاصه بملك الدنيا والآخرة، وباستحقاق العبادة والاستعانة، بالسؤال في المن بإلزام صراط الفائزين والإنقاذ من طريق الهالكين مختصًا بذلك كله، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم، لإفراده بالعبادة، فهو مقصود الفاتحة بالذات وغيره وسائل إليه، فإنه لا بد في ذلك من إثبات إحاطته تعالى بكل شيء ولن

٢٧ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج١، ص١٤٩.
٢٨ انظر: المرجع نفسه، ص١٥٥.
٢٩ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص١٢.
٣٠ المرجع نفسه، ص١٩.

يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق الملك المالك».[٣١]

وسورة الرعد مثلاً «مقصودها: وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه، مع أن له صوتاً وصيتاً، وإرغاباً وإرهاباً، يهدي بالفعل. وتراه لا يتأثر، بل يكون سبباً للضلال والعمى. وأنسب ما فيها لهذا المقصد: الرعد، فإنه مع كونه حقاً في نفسه يسمعه الأعمى والبصير، والبارز والمستتر، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا. وإذا نزل المطر: فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة، وتارة يضر بالإغراق، أو الصواعق، أو البرد، وغيرها».[٣٢]

يرى محمد سعد أنَّ «في التسمية ما يُغْرِي بأنَّه قد تكونُ هنالك وشيجة نسب بين معنى الاسم ومقصود ما سميت به من السور، فجدير بنا النظر فيها ولا سيّما أنَّ تسمية غير قليل من السور لا تصلح أن تعلَّلَ بأنّها سميت بذلك لذكره فيها، المُهِمُّ أنَّ البقاعيّ ذو عناية بذكر اسم السورة أو أسمائها إن تعددت، وفي تعددها دلالة على عظيم فضلها واتساع مقصودها».[٣٣]

٢. معرفة مقصود السورة من خلال مطلعها

هنا سلك البقاعي على أن مقصود السورة عُرف من مطلع السورة. يقول البقاعي في مطلع سورة الأحزاب: «مقصودها: الحث على الصدق في الإخلاص في التوجه إلى الخالق من غير مراعاة بوجه ما للخلائق، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله. فهو يعلم من يشاء، وإن كان ضعيفاً، ويردي من يريد وإن كان قوياً، فلا يهتمن الماضي لأمره برجاء لأحد منهم في بره، ولا خوف منه في عظيم شره، وخفي مكره. وتسميتها بالأحزاب أوضح دليل على ذلك، بتأمل القصة التي أشارت إليها، ودلت عليها».[٣٤] لذلك عُرف مقصود سورة الأحزاب من اسم هذه السورة ومطلعها أو أوّلها.

٣. معرفة مقصود السورة من خلال العلاقة بين مطالع السور وخواتيم ما قبلها

استطاع البقاعي أن يعيّن العلاقة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها في بيان مقصود السورة القرآنية. على سبيل المثال في سورة الحجرات وق وسورة الذاريات والطور، حيث يقول في سورة ق: «مقصودها: الدلالة على إحاطة القدرة التي هي نتيجة ما ختمت به الحجرات، من إحاطة العلم لبيان أنه لا بد من البعث ليوم الوعيد، فتكتنف هذه الإحاطة

٣١ المرجع نفسه، ص١٢. وانظر: رضوان جمال حسين، وجوه دلالية وبلاغية من سورة الفاتحة، (ماليزيا: مركز البحوث الجامعة الإسلامية العالمية، ط١، ٢٠٠٥م)، ص١٥-٢١.

٣٢ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص١٩٣..

٣٣ محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص٢١٢.

٣٤ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٣٧٠.

بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل، لأن ذلك سر الملك، الذي هو سر الوجود وذلك هو نتيجة مقصود البقرة والذي تكفل بالدلالة على هذا كله، ما شوهد من إحاطة مجد القرآن بإعجازه في بلوغه في كل من جمع المعاني، وعلو التراكيب، وجلالة المفردات، وجزالة المقاصد وتلاؤم الحروف، الخلق والخلق، وما شوهد من إحاطة القدرة، بما هدى إليه القرآن من آيات الإيجاد والإعدام».[٣٥]

وكذلك سورة الطور: «مقصودها: تحقيق وقوع العذاب، الذي هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات»[٣٦] لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد، وافتتحت سورة الطور بإثبات العذاب الذي هو روح الوعيد».[٣٧]

إن البقاعي لا يقتصر منهاجه على أن يربط الآية الأولى من السورة بآخر آية من التي قبلها فحسب، بل يستهلّ السورة عنده هو مفتاحها ومكتنز مقصودها، فربط أوّلها بآخر التي قبلها الممثل حسن ختامها الراجع على مستهلها هو في حقيقته ربط مقصود بمقصود، فصنيعه هنا ليس ربط جزئيات بجزئيات بل ربط مضمون كلّي لسورة بمضمون كلّي لأخرى سابقة عليها، وهذا ضرب من التصريف المنهجي لدي البقاعي في تقرير الحقيقة التي انتهى إليها.[٣٨]

٤. معرفة مقصود السورة من خلال القصص التي وردت فيها

فسورة الكهف مثلاً، «مقصودها: وصف الكتاب بأنه قيّم، لكونه زاجراً عن الشريك الذي هو خلاف ما قام عليه الدليل في «سبحان»، من أنه لا وكيل دونه، ولا إله إلا هو وقاصًّا (بالحق) أخبار قوم قد فضلوا في أزمانهم، وفق ما وقع الخبر به في سبحان، من أنه يفضل من يشاء، ويفعل ما يشاء. وأدل ما فيها على هذا المقصد: قصة أهل الكهف، لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص، مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، وكان أمرهم موجباً بعد طول رقادهم للوحدانية، وإبطال الشرك».[٣٩]

٥. معرفة مقصود السورة من خلال مناسبته لمقاصد سور أخرى

يؤمن البقاعي بأن لكل سورة ترجمة في سور أخرى، لاحقة لها. ويعبّر البقاعي عن هذه القاعدة بذكر كلام العلامة الحرالي حيث يقول: «اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب فكذلك أيضاً جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوي على جميع مثاني

٣٥ المرجع نفسه، ج٣، ص١٤-١٥.
٣٦ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٧، ص٢٩١.
٣٧ المرجع نفسه، ج٧، ص٢٩١.
٣٨ انظر: محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص١٦٨.
٣٩ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٢٤٣-٢٤٤.

آيها، وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها».[٤٠]

وقد طبّق البقاعي قوله على سور عديدة منها الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء حيث يقول: «إن مقصود سورة n آل عمران التوحيد. وذلك أن الفاتحة وهي أم القرآن لما كانت جامعة للدِّين إجمالاً جاء ما به التفصيل، وهو القرآن، الذي هي أمه، محاذياً لذلك، فابتدأ بسورة الكتاب، المحيط بأمر الدين، كما أن الفاتحة محيطة بأم القرآن، ثم بسورة التوحيد، الذي هو سر حرف الحمد، أول حروف الفاتحة السبعة. لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقوم بناء شيء من الدين بدونه. كما أن الفاتحة أس القرآن. وأيضاً: فلما ثبت بالبقرة أم الكتاب، في أنه هدى، وقامت به دعائم الإسلام الخمس، جاءت هذه لإثبات أمر الدعوة الجامعة، في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، فأثبت الوحدانية له سبحانه بإبطال إلهية غيره بإثبات أن عيسى u- الذي كان يحيي الموتى- عبده، فغيره بطريق الأولى. وعلم أن الذي أقدره على إحياء الموتى، تارة بالنفخ، وتارة بغيره، هو الذي أقدر أحاد بني إسرائيل على عهد موسى u على إحياء ذلك القتيل، بضربه بلحم تلك البقرة، التي أمرهم موسى u بذبحها وسميت بها السورة إشارة إلى ما تقدم من التطبيق بين اسمها ومسماها. فلما ثبت بهذا: أن الكل عبيده سبحانه، جاءت سورة النساء داعية إلى إقبالهم إليه، واجتماعهم عليه. والدليل على أن المقصود من هذه السورة، الدلالة على التوحيد: تسميتها بآل عمران، فإنه لم يعرب عن هذا القصد في هذه السورة، ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه فيها من أخبارهم، بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد، الذي ليس في درج الإيمان أعلى منه، فهو التاج الذي هو خاصة الملك المحسوسة، كما أن التوحيد خاصته المعقولة. والتوحيد موجب لزهرة المتحلي بهذه السورة».[٤١]

هذه الوحدانية هي اللبنة الثانية في أساس الإيمان، لأنَّه إذا تقرَّر أنَّ الإله لابُدَّ أن يكونَ واحداً وغيباً غير منظورٍ أو ملموسٍ، فكما أنه يتعاند مع معنى الألوهية أن يكون الإله مشهوداً منظوراً ملموساً يتعاند أيضا مع معنى الألوهية أن يكون الإله غير واحد. لأنَّ هذا يترتَّب عليه فسادُ الكون والحياة فساداً يقرره منطق العقل المُعافى من الضلالة. العلاقة بين سورة البقرة وسورة آل عمران علاقة عظيمة كما وردت في السنة النبوية الشريفة في فضل هاتين السورتين، لأنهما قائمان على أمر واحد هو تقرر ما هو جوهر في معنى الألوهية وما يجب أن يكون أساسًا عظيمًا من أسس صفات الإله المعبود بحق حيث يكون غيباً لا تدركه الأبصار وأن يكون واحداً ليس كمثله شيء غير سواه، وهذا كأنَّه من عطف الخاص على العام.[٤٢]

٤٠ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص٥٤.

٤١ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٦٧-٦٨.

٤٢ محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص١٦١.

ويستمر مقصد التوحيد في سورة آل عمران حيث يقول: «المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله I، والإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الأقبال عليه والمسارعة إليه وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة هذا ما كان ظهر لي أولاً، وأحسن منه أن نخص القصد الأول وهو التوحيد بالقصد فيها فإن الأمرين الآخرين يرجعان إليه، وذلك لأن الوصف بالقيّومية يقتضي القيام بالاستقامة، فالقيام يكون على كل نفس، والاستقامة العدل».[٤٣]

لذا مقصد التوحيد في سورة آل عمران هو إثبات الوحدانية لله I، حيث كان الناس يفضّلون الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما فجميعها لا فائدة لهم في الدنيا والآخرة. أما المؤمنون الذين يصفون بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والطاعة والأنفاق والاستغفار وغير ذلك من الصفات المحمودة. فيعدّ لهم جنات ورضوان لأنهم يتخذون التوحيد قصداً أولاً ويستقيمون به.

يرى محمد سعد أنّ البقاعي إذا ما جاء لتبيان المقصود الأعظم من سورة آل عمران فإنَّه يبسط القول في هذا: «يبيّن لنا ما كان قد ظهر له أوّل الأمر في تأويلها، فلمَّا راجع وبالغ التدبّر تبين له تحرير مقصودها على نحو آخر، وهو يبسط القول، فيبين العلاقة بين مقصود سورة آل عمران بمقصود سورة البقرة ومقصودهما معاً بمقصود سورة الفاتحة بل إنه ليبسط النظر أكثر، فيمدُّه إلى مقصود سورة النساء».[٤٤]

وبعد استعراض مقاصد السور عند البقاعي يمكن القول أنّه يجعلها في مقصد واحد هو مقصد التوحيد ولا يتوقف هذا المقصد عند سور البقرة وآل عمران والنساء فقط بل عند جميع السور القرآنية. ففي سورة المائدة مثلاً، «مقصودها: الوفاء بما هدى إليه الكتاب، ودل عليه ميثاق العقل من توحيد الخالق، ورحمة الخلائق، شكراً للنعمة، واستدفاعاً للنقمة. وقصة المائدة أدل ما فيها على ذلك، فإن مضمونها: أن من زاغ عن الطمأنينة، وزاغ عن الثبات والسكينة، بعد الكشف الشافي، والإنعام الوافي، نوقش الحساب، فأخذه العذاب. وتسميتها بالعقود، أوضح دليل على ما ذكرت من مقصودها، وكذا الأحبار».[٤٥] وكذلك في سورة الأنعام، قُصد منها «الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد بأنه سبحانه الحائز لجميع الكمالات، من الإيجاد والإعدام، والقدرة على البعث وغيره». أما سورة الأعراف فمقصودها «إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه

٤٣ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٢، ص٣.

٤٤ محمد سعد، الإمام البقاعي جهاده ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص١٥٩.

٤٥ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص١٠٦..

من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين». أو «تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله واعتقاد: أن الأمور ليست إلا بيده، وأن الإنسان ليس له فعل يثمر ذلك الاعتصام بأمر الله، المثمر لاجتماع الكلمة، المثمر لنصر الدين، وإذلال المفسدين، المنتج لكل خير، والجامع لذلك كله: أنه كما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الإله، والاجتماع عليه، لما ثبت من تفرده واقتداره، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعي إليه بغاية الإذعان والتسليم والرضا، والتبرؤ من كل حول وقوة، إلى من أنعم بذلك كله، ولو شاء سلبه» كما في سورة الأنفال. وكذلك «معاداة من أعرض عما دعت إليه السور الماضية، من اتباع الداعي إلى الله في توحيده، واتباع ما يرضيه، ومولاة من أقبل عليه»[٤٦] كما في سورة براءة. أو «وصف الكتاب بأنه من عند الله، لما اشتمل عليه من الحكمة وأنه ليس إلا من عند سبحانه، لأن غيره لا يقدر على شيء منه. وذلك دالّ بلا ريب على أنه واحد في ملكه، لا شريك له في شيء من أمره»[٤٧] كما في سورة يونس.

وكذلك يتكرر هذا المقصد في أواسط السور القرآنية كما في سورة الإسراء. مقصودها: «الإقبال على الله وحده، وخلع كل ما سواه، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور، وتفضيل بعض الخلق على بعض. وذلك هو العمل بالتقوى، التي أدناها خلع الأنداد، واعتقاد التوحيد».[٤٨] أو «وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجراً عن الشريك»[٤٩] كما في سورة الكهف، أو «بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع صفات الكمال» كما في سورة مريم، أو «إعلام الداعي بإقبال المدعوين، والترفق إلى أن يكونوا أكثر الأمم زيادة في شرفه r» كما في سورة طه، أو «الاستدلال على تحقق الساعة وقربها، ولو بالموت، ووقوع الحساب فيها، على الجليل والحقير، لأن موجودها لا شريك له يعوقه عنها. وهو من لا يبدل القول لديه»[٥٠] كما في سورة الأنبياء.

وفي أواخر السور القرآنية يُعيد مراراً مقصد التوحيد كما في سورة النبأ. مقصودها: «الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه»، أو «الإقسام على بعث الأنام ووقوع القيام، يوم الزحام، وزلل الأقدام بعد البيان التام»[٥١] كما في سورة النازعات، أو «بيان حقيقة الذات الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد، للإخلاص في التوحيد، بإثبات الكمال، ونفي شوائب النقص والاختلال،

٤٦ المرجع نفسه، ج٢، ص١١٨، و١٣٠، و١٤٦-١٥٧، و١٥٣.
٤٧ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٣، ص٤١١.
٤٨ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٢٣٠.
٤٩ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٤، ص٤٤١.
٥٠ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٢، ص٢٥٦، و٢٦٧، و٢٨٦.
٥١ المرجع نفسه، ج٣، ص١٥١، و١٥٤، و٣٠٨.

المثمر لحسن الأقوال والأفعال. وثبات اللجوء والاعتقاد في جميع الأحوال»[٥٢] كما في سورة الإخلاص، أو «الاعتصام من شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر والباطن»[٥٣] كما في سورة الفلق، أو «الاعتصام بالإله الحق، من شر الخلق الباطن، لأن الإنسان مطبوع على الشر، وأكثر شره بالمكر والخداع»[٥٤] كما في سورة الناس.

٦. معرفة غرض السورة من خلال الوعي بمقاصد سورة الفاتحة

يرى البقاعي رحمه الله «أن المقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب نصب الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق والمقصود من جمعهم تعريفهم الملك وبما يرضيه، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته سورة الفاتحة بالقصد الأول، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علماً وعملاً، ولما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عباداته وكان التزام اسمه تعالى في كل حركة وسكون قائداً إلى مراقبته وداعياً إلى مخافته واعتقاد أن مصادر الأمور وموارداها منه وإليه شرعت التسمية أول كل شيء فصدّرت بها سورة الفاتحة. وقدّم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيماً للقرآن بالإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره، لينال سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة».[٥٥]

ويقرر البقاعي مثل هذا المقصود في مواطن عديدة من تفسيره يبين فيها المقصود الأعظم من إنزال القرآن الكريم. والحقّ أن القرآن الكريم نفسه لم يدع لنا الاجتهاد في تحرير مقصوده الأعظم استنباطاً، فتفاوت في تحريره، بل قرّر لنا ذلك في آيات كثيرة، فإن للقرآن الكريم حديثاً عن نفسه ليس كمثله حديث أحد من العالمين، فمن أراد أن يعلم حقيقة القرآن الكريم ورسالته ومنزلته وفضله، فليس عليه إلا أن يستجمع في سمعه وبصره وقلبه الآيات التي تتحدث عن القرآن الكريم، وينسقها مستحضراً سياقاتها التي تقوم فيها في سورها، فإنّ في هذا من الكشف ما فيه، فخير الحديث عن القرآن الكريم هو حديث القرآن المجيد نفسه، ثُمَّ حديث النبيّ.[٥٦]

من جهة أخرى، يرى الإمام البقاعي أن مقصود سورة الفاتحة هو أعظم المقاصد في القرآن الكريم حيث كان «مقصودها مراقبة العباد لربها. وهي جامعة لجميع معاني القرآن، ولا يلزم من ذلك اتحاد مقصودها مع مقصوده بالذات، وإن توافقا في المآل،

٥٢ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٨، ص٥٧٥.
٥٣ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج٣، ص٢٩٨.
٥٤ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج٨، ص٦١١.
٥٥ المرجع نفسه، ج١، ص١٢.
٥٦ انظر: محمد سعد، الإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، ص١٥١-١٥٢.

فإنه فرق بين الشيء وبين ما جمع ذلك الشيء. فمقصود القرآن، تعريف الخلق بالمَلِك، وبما يرضيه. ومقصود الفاتحة: غاية ذلك، لكونها غاية له، وذلك هو المراقبة المذكورة، المستفادة من التزام ذكره تعالى في كل حركة وسكون، لاعتقاد أنه لا يكون شيء إلا به، وعلى جلالة هذا المقصد، جاءت فضائلها».[٥٧]

٧. معرفة غرض السورة من خلال الوعي بمقاصد القرآن العامة

يرى البقاعي أن المقاصد العامة للقرآن الكريم تنقسم إلى أربعة حيث يقول: «وكان المقصود الأعظم من القرآن تقرير أصول أربعة: الإلهيات، والنبوات، والمعاد، وإثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار. ولما كان أجلّ هذه المقاصد الإلهيات، شرع في أدلة الوحدانية والقدرة والفعل بالاختيار المستلزم للقدرة على البعث».[٥٨] ثم يبين أن المقصود الأعظم لوجود الخلائق هو ملء القلب بمعرفة الله والاهتداء إليه وإفراد بالعبادة والتسليم له وحده دون سواه فيقول: «لأن المقصود الأعظم من إنزال القرآن تنوير القلوب بالمعرفة، وذلك لا يكون إلا بغاية التسليم، وذلك هو اتباع الملة الحنيفية، وهو متوقف على صدق النبي r فبدأ الله تعالى السورة بدلائل صدقه بإعجاز القرآن بكشفه».[٥٩]

٨. الاعتماد على تحديد مقاصد السور من خلال معرفة غرضها الأساسي الذي أنزلت له

يأتي الغرض أحياناً ليدل على المقصد، وأحياناً يأتي ليخالفه في المعنى، والحقيقة أن السورة قد تحتوي على موضوعات عديدة، ولكل موضوع له غرض سام سيق لأجله في السورة، وأغراض الموضوعات الواردة في السورة تشير في كثير من الأحيان إلى مقصد السورة الأساسي. ومن خلال هذه القاعدة، ينطلق البقاعي من خلال اعتماده على ما قاله شيخه أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبو عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي حيث يقول: «الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سبقت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربك بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة سورة والله الهادي».[٦٠]

٥٧ البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج١، ص٢١٠.
٥٨ المرجع نفسه، ج٤، ص٢٨٣.
٥٩ المرجع نفسه، ج٢، ص١٩٦.
٦٠ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١، ص١١.

٩. الاعتماد على الوحدة الموضوعية في تحديد مقاصد السورة

يعبر البقاعي رحمه بكلمات شاملة ومعبّرة، خطّها بقلمه، والتي تعبّر بدقّة عن منهجه في التعامل مع السور والآيات الكريمة وتحديد مقاصدها وأنواع المناسبة فيها باعتبارها وحدة واحدة يجمعها مقصد واحد هو المحور الذي تدور آياتها حولها ويشدّ بعضها بعضًا. فلكل سورة مقصد تحققه آياتها المتميزة وهذا المقصود يدلّ على تلك المقدمات التي تساق في أول السور وتلك الخواتم التي تختم بها السورة بالإضافة إلى أن ينجرّ الكلام.[٦١] لذا، عرف مقصود السورة من وحدتها الموضوعية ولكل سورة لها مقصد واحد ينبثق من المحور الوحيد الذي يدور عليه أوّلها وآخرها. يقول الأستاذ محمد سعد: «إنَّ كلَّ سورةٍ لها مقصدٌ واحد يُدار عليه أولها وآخرها، ويستدلُّ عليه فيها المقصود الكلي الأعظم تفيدُ معرفته معرفة المقصود من جميع أجزاء السورة».[٦٢]

ولما سبق ذكره يستدلّ على أن البقاعي جعل المقصد الأعظم في القرآن هو مقصد التوحيد. وجميع المقاصد في السور القرآنية يتمسك بهذا المقصد في عموم تفسيره. ومن ثم، اهتم البقاعي بهذا العلم حيث يتمكن من تحقيق المقصد الأعظم من إنزال القرآن الكريم، وبالتالي يظهر الإعجاز القرآني الذي هو نتيجة من تدبر الآيات القرآنية.

و. خاتمة

إن الإمام البقاعي رحمه الله يُعَدُّ من أجل المفسرين الذين اعتنوا بعلم مقاصد السور القرآنية، وهو بلا شك فارس هذا العلم. بل يرى محقق كتاب «مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور. أن الإمام البقاعي جعل المقصد الأعظم في القرآن هو مقصد التوحيد. وجميع المقاصد في السور القرآنية يتمسك بهذا المقصد في عموم تفسيره. وأن الإمام البقاعي من أوائل العلماء الذين اكتشفوا أهمية هذا العلم العظيم وأنه وسيلة من وسائل فهم وتدبر آيات القرآن الحكيم.

إن الإمام البقاعي اعتمد على سورة الفاتحة في تحديد مقاصد السور الأخرى، باعتبارها أم الكتاب، وفيها إجمال حقيقي لكل مقاصد القرآن الحكيم. واعتمد على الوعي بمقاصد القرآن العامة في تحديد مقاصد كل سورة من سور القرآن العظيم. وأثبت البحث أن الإمام البقاعي اعتمد على السياق وعلم المناسبات وعلم الوحدة الموضوعية في تحديد

٦١ انظر: أمينة رابح، مقاصد السور القرآنية دراسة نظرية تطبيقية، (رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الكتاب والسنة قسم العلوم الإسلامية كلية العلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية، بجامعة وهران، ٢٠١٣م)، ص٥٧.

٦٢ محمد توفيق محمد سعد، الإمام البقاعي: جهاده ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، (القاهرة: حدائق الزيتون، ط١، ١٤٢٤ه)، ص١٤٧.

مقاصد سور القرآن. والقصص القرآنية كانت وسيلة من وسائل تحديد مقاصد السورة القرآنية، وخصوصاً تلك القصص التي تكررت موضوعاتها، إذ أن لكل تكرار مقصد ولكل قصة لها مقصد عام يعين القارئ على تحديد مقصد السورة القرآنية.

BIBLIOGRAPHY

Al-Biqā'ī, Ibrāhīm ibn 'Umar, *Iẕẖār al-'Aṣr li Asrār Ahl al-'Aṣr Tārikh al-Biqā'ī,* ed. by Muhammad Sālim ibn Shadīd al-'Awfī, vol. II, Riyāḍ: Jāmi'at al-Imām Muhammad ibn Su'ūd al-Islāmiyyah, 1992.

----, *Maṣā'id al-Naẕr li al-Ishrāf 'alā Maqāṣīd al-Suwar,* ed. by 'Abd. al Samī' Muhammad Ahmad Husayn, Riyāḍ: Maktabah al-Ma'ārif, 1987.

----, *Al-Aqwāl al-Qawīmah fī Ḥukm al-Naql min al-Kutub al-Qadīmah,* ed. by Ahmad 'Abd. Al-Rahmān al Sāyih, Cairo: Jazīrat al Ward.

----, *Al Nakt al-Wafiyyah bimā fī Sharh al-Alfiyyah,* ed. by Māhir Yāsin al Fahl, Riyāḍ: Maktabah al Rushd, 2007.

----, *Al-Qawl al Mufīd fī Uṣūl al-Tajwīd li Kitāb Rabibnā al-Majīd,* ed. by Khairullāh al-Sharīf, Beirūt: Dār al-Bashā'ir al Islāmiyyah, 1995.

----, *Naẕm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar,* ed. by 'Abd al-Razzāq Ghālib al-Muhdī, Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1995.

----, '*Unwān al-Zamān bi Tarājum al-Shuyūkh wa al-Aqrān,* ed. by Hasan Habshī, vol. I, Cairo: Dār al-Kutub wa al-Wathā'iq al-Qawmiyyah, 2001.

----, *Badhl al-Naṣh wa al-Shafaqah lil Ta'rīf bi Suhbah al-Sayyid Waraqah,* ed. by Muhammad Nabīl Tarīfī, Beirūt: Dār al Fikr al 'Arabī, 2003.

----, *Al-I'lām bi Sinn al-Hijrah ilā al-Shām,* ed. by Muhammad Mujīr al-Khatīb al-Husnī, Beirūt: Dār Ibn Hazm, 1997.

Duwaikāt, Sa'īd Ibrāhīm Sa'īd, "Maqāṣid al-Qur'ān al-Karīm baina al-Imāmayn al-Biqā'ī wa Ibn 'Āshūr", Ph.D. Thesis, IIUM, 2013.

Al-Halabī, Nūr al-Dīn Muhammad 'Ithr, *'Ulūm al-Qur'ān al-Karīm,* Damshiq: Matba'at al-Sabāh, 1993.

Al-Humawī, Abū 'Abdullāh Yāqūt ibn 'Abdullāh, *Mu'jam al-Buldān,* vol. I, Beirūt: Dār al-Fikr.

Husayn, Raḍwān Jamāl, *Wujūh Dilāliyyah wa Balāghiyyah min Sūrat al Fātihah,* Malaysia: Markaz al-Buhūth al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah al-'Ālamiyyah, 2005.

Al-Husaynī, Muhammad ibn Muhammad Abd al-Razzāq, *Tāju al-'Arūs min Jawāhir al-Qāmūs,* ed. by Majmū'ah min muhaqqiqīn, vol. 1, Dār al-Hidāyah, 2010.

Al-'Ilā', 'Ādil ibn Muhammad Abū, *Maṣābih al-Durar fī Tanāsub Āyāt al-Qur'ān al-Karīm wa al-Suwar,* Madinah: Al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah, 1425H.

Manẓūr, Muhammad ibn Mukrim Ibn, *Lisān al-'Arab,* vol. III, Beirūt: Dār Sādir.

Milāl, Yūnus ʻUmar, "Athr al-'Ilm bi Maqāṣid al-Suwar fī Fahm al-Qur'ān al-Karīm fī Ḍaw' Sirr Tikrār al-Qiṣaṣ: Qiṣṣat Ādam ʻAlayh al-Salām Unmūdzajan", *Al-Majallah al-'Ilmiyyah li Kulliyyat Uṣūl al Dīn wa al-Da'wah bi al-Zaqāzīq, Jāmi'ah al-Azẖar,* vol. 32, no. 1, 2020, https://journals.ekb.eg/article_79672.html.

Misnawati, "Al-Wahdah al-Mawḍū'iyyah fī Qiṣaṣ Sūrat al-Baqarah ʻind al-Imām al-Biqāʻī al-Sam' wa al-Tā'ah Unmūdzajan", Ph.D. Thesis, IIUM, 2019.

Muslim, Muṣṭafā, *Mabāhith fī I'jāz al-Qur'ān,* Damshiq: Dār al Qalam, 2005.

Al-Qādir, Muhammad Walad Saydī ʻAbd, "Manhajiyyat al-Bahth fī Maqāṣid al-Suwar al-Qur'āniyyah (Sūrat Fuṣṣilat Namūdzajan)", *Majallat Kulliyyat al-Dirāsāt al-Islāmiyyah wa al-ʻArabiyyah lil Banāt,* vol. 2, no. 3, 2018, https://fica.journals.ekb.eg/article_36272.html, accessed 15 March 2022.

Al-Rabī'ah, Muhammad ibn ʻAbdillāh, *ʻIlm Maqāṣid al-Suwar,* Riyāḍ: Maktabah al-Mulk Fahd al-Wataniyyah, 2011.

Rābih, Amīnah, "Maqāṣid al-Suwar al-Qur'āniyyah Dirāsah Naẓariyyah Tatbīqiyyah", Ph.D. Thesis, Jāmi'ah Wihrān, 2013, https://ia803405.us.archive.org/16/items/quran04001/quran04125.pdf

Saʻd, Muhammad Tawfīq Muhammad, *Al-Imām al-Biqāʻī: Jihāduhu wa Minhājuhu fī Ta'wīl Balāghat al-Qur'ān,* Cairo: Hadā'iq al-Zaitūn, 1424H.

Shahbah, Muhammah ibn Muhammad Abū, *Al-Madkhal li Dirāsat al-Qur'ān al-Karīm,* Cairo: Maktabah al-Sunnah, 2003.

Al-Suyūtī, Jalāl al-Dīn, *Naẓm al-'Iqyān fī A'yān al-A'yān,* Beirūt: Al-Maktabah al-'Ilmiyyah.

Al-Tāliqānī, Ismā'īl ibn ʻIbād ibn al-'Abbās, *Al-Muhīt fī al-Lughah,* ed. by Muhammad Hasan Āli Yāsīn, vol. I, Beirūt: ʻĀlim al Kutub, 1994.

ʻUbaydullāh, Zahr Sālih Ismāʻīl Abū, "Manhaj al-Biqāʻī fī al-Qirā'āt fī Tafsīrihi Naẓm al-Durar fī Tanāsub al-Āyāt wa al-Suwar", Master Thesis, Al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah Ghaza, 2012.